

سلسلة مقالات الالباء ساويرس
البطريرك الانطاكي

القديسة الشهيدّة دروسيس

ابنة الامبراطور الروماني تراجان

يوسف حميد

عليك حميد يوسف

سلسلة مقالات الابا ساويرس
البطيرك الانطاكي

أقوال الاب القديس ساويرس بطيرك انطاكية

عن

القديسة الشهيدة دروسيس

ابنة الإمبراطور الروماني تراجان

عندها ١٤ ديسمبر في انطاكية ، و١٣ سبتمبر عند اليونانيين

المقال رقم ١٠٠ مترجم عن الفرنسية من الكتاب الثاني من الجزء
الثاني والعشرين من مجموعة :

Patrologio Orientales R. Graffin F. Nau Les
Homélie Cathédrales de Sévère d'Antioche
Traduction Syriaque de Jacques d'Edesse Editées et
traduites en français par Ignago Guidi .

إلى الذين يسألون : ما هي فعالية الكلمة الإلهية : توبسوا
قد اقترب ملكوت السموات ، يحذر بنا أن نرفهم بالعذراء
دروسيس الشجاعة جداً ، ونتمسك عن الكلام ، لأن ما يمكن أن
تراه أمام عينيك لا داعي لإظهاره باللسان .

فانه حينما ترى شابة صغيرة جداً تجاوزت مرحلة الطفولة ،
تربت فوق البرفير الملكي ، هي ابنة تراجان الذي تملك على
الرومان ، تربت في القصر الملكي ، ولها السيادة على صولجان
الملك الأبوي بصفتها وارثة ، وكانت تزdan بكل زهور هذا
العالم ، لها كل الخيرات ، تفيض عليها كل أنواع المباح التي
تفتن الحواس وتجعلها تهم اشتياقاً ؛ حينما ترى فتاة كهذه تركض
متعدية كل هذا كأنه تراب أو حلم : وتسمو فوق الأشياء
الأرضية متوجهة إلى نداء المسيح مباشرة ، فترتبط كلية بالرجاء
السمائي والمسكن الطوباوي ، أفلا نقول أن ملكوت السموات قد
اقترب ؟ بلى انه قريب وحاضر .

وبخصوص الذين هم عبيد الذات المخزية ، فهم تحت سلطان
الخطية ، حسبما كتبه بولس الرسول إلى أهل رومية : ، اذا
لاتماسكن الخطية في جسدكم المائت لكي تطيعوها في شهواته ،
رو ١٢: ٦ . وبنفس الطريقة فإن الذين تملك الأفكار الإلهية

الساوية على عقولهم ، الذين بحسب كلمة بولس الرسول نفسه قد
قدموا لله أعضاءهم كأسلحة بر ، وهكذا أيضا تكون أعمال الروح
لاتمام أو امره تعال للجيش السائية وفيها يرتل داود النبي :
• باركوا الرب يا جميع جنوده خدامه العساكين مرضاته ،
مز ١٠٣ : ٢١ ، وبيدنا يحيون هذه الحياه الأرضية يعملون ملكوت
السموات منهم قريباً ويسلكون تحت سلطانه سلوك الأرواح
السائية العقلية ، يتجهون إليه وهم يعملونه في داخلهم ويحيطون
به ؛ وهذا ما قاله مخلصنا لتلاميذه : • ها ملكوت الله داخلكم ،
لو ١٧ : ٢١ .

ان الصلاة النموذجية العظيمة اللاتفة بالله التي تركها لنا مخلصنا
تشهد أيضاً أن ملكوت الله وملكوت السموات يتضمن هذا :
أن نزيد ونعمل الأشياء السائية وكل ما يريد الله ، وأن نمزج
أفكارنا بمشيئة الله . لأن بعد أن نقول : • ليات ملكوتك • ،
نقول : • لتكن مشيئتك كما في السماء كذلك على الأرض • ،
مت ٦ : ١٠ . مظهرين أن ملكوت الله هو هذا : مثل مدينة
تحكمها القوايين حكماً حسناً ، تنقاد الروح بالأشياء التي ترضي الله
وتكون هذه الأشياء متسلطة عليها ، وتكون بحملتها تحت حكمه
وحده خاضعة لربو بيته ، لانفكر في شيء غريب ؛ حتى تكون

المشيئة الإلهية مكملة أيضاً على الأرض بواسطة السماء ، كما هي في السماء .
بواسطة الجيوش السمائية بها ؛ وحتى أيضاً في هذا ليس هناك
سوى ملكوت واحد يأتي من العلا إلى الأرضيات ، ومن
الأرضيات إلى العلا ، راسخ تسوده الوحدة في الطاعة وتوافق
المشتركين حسب المراد من قولنا : وليأت ملكوتك لتكون
مشيئتك كما في السماء كذلك على الأرض . .

حينما تشترك دروسيس في هذا الملكوت وتستضيء بنور
مشيئة الله دون أن تشبع منه ، وتدوس بقدمها المملكة الأرضية ،
فهي تقول : « توبوا لأنكم ترن أن ملكوت السموات قد تمك
في وهو كائن حالاً بينكم . » تلك التي كانت سيدة الأرض ، التي
ملك كل الأرض ، أي شيء . آخر كان يستطيع أن يقنعها بأن
تحتقر لجأة كل شيء . ، سوى هذا المسكن وهذه الراحة السمائية ؟
وكان كل من يرى ذلك يتعجب ويدهش في قرارة نفسه
فيقر قائلاً : « حقاً إذا يعترف المسيحيون بملكوت السموات . ،
حتى من كانوا في هذه الحياة الدنيا لا عربون لرجاء الآخرة لديهم ،
ولم يتصنيشوا بنور سماوي إلهي ، غير سالكين بالروح ، لم
يتركوا الأرضيات لينقادوا إلى ما هو فوق قائمين بطريقة ما في
المساكن العلوية .

ليست الملكات من يقنعن بالترجي بدون أساس بدل
الرفير والسلطان الملكي ، بل يجب الاعتقاد أن المسيح يظهر
بالمريثات حقيقة كلماته التي هي أيضاً فوق الإيمان . أن ترك فتاة
شابة بيت أبويها مأخوذة بجمال شاب أو بالاموال العظيمة
والمتعة ، أو بفرور العالم والفتنة والإغراء ولا سيما السعي وراء
الجنس اللطيف ، فهذا يمكن أن نجده بسهولة في الروايات القديمة
وكذلك في الزمن الغابر ؛ وأيضاً في زمننا توجد أمثلة عديدة
شريرة من هذا النوع . أما أن تصل دروسيس الشجاعة بأعمال
الادارة ، إلى ديانة غير مألوفة في خاصتها ، وإلى إيمان المسيحيين
الذي يتطلب منها أن تحتقر أمه عديدة مشهورة غير موجودة ،
ذلك الذي يعلم العفة والقوة في سائر طرق السكال ، ولو أدى
الامر أن يكون مضطهداً ملاحقاً معذباً ، فهذا هو العسير .
في هذه المعاناة الشاقة لا يقتصر الامر أن يقاسى منها إيمان
المسيحيين فقط من ناحية الفسوانين والملك وذوى الحكم
والسلطان ، أو من ناحية الذين ينظمون اجتماعات الجنود أو
جرباً على عادات الاجداد المنتشرة في كل مكان وعبادة الشياطين
وقد تسلطوا حتى كأنهم يحكون العالم ؛ بل أن ما همت بفعله
دروسيس كان من عمل هذه النار التي قال عنها المسيح إلهنا في

الاناجيل: وجئت لالقي نارا على الارض فاذا اريد لو اضطرت.
لو ١٢: ٤٩ .

هذه النار حينما سرت في روح الشهيذة، أشعلت وأحرقت
إذا كل الافكار الارضية الدنيوية مثل القش، وبعد أن
استحوذت على كل عقلا تحوطه مثل العليقة التي رآها موسى النبي
مشتملة ولا تحرق، ظهر له ملاك الرب بلهب نار من وسط
عليقة فنظر واذا العليقة تنوقد بالنار والعليقة لم تكن تحترق .
خر ٣: ٢ . بعد أصعدت إلى فوق لهباً يبرق، رفعت الفتاة
الشابة كطائر في الهواء، ورفعتها إلى السماء؛ منذ ذلك الحين
كانت مشغلة كلية ومرتبطة بالجمال الاسمي، فكانت لا تبال بما
يجذبها نحو الارض.

حينما نتأمل بعناية في هذه الامور، نعجب بالتأكيد كم قوى
ربنا يسوع المسيح طبيعتنا وثبتنا، كانت حواء فعلا مخلوقة أولاً،
وبنى الرب الاله الضلع التي أخذها من آدم امرأة واحضرها الى
آدم . تك ٢: ٢٢ . أو حسب قول الكتاب كانت الاولى التي
بناها الله؛ لان لفظ البناء يدل على أن الخليقة كانت شيئاً صلباً
ثابتاً، لم يجعلها ضعيفة، أعصابها متوترة، بل قوية وكان لها
كالرجال با كورة الطبيعة، تحظى بالمسكن في الفردوس الالهى،

سعيدة خالية من القلق، تنفذى بحرية من كل الاشجار؛ لكن
حرم عليها أن تذوق ثمرة شجرة واحدة، لكي يمتحن الله حرية
روحها وتقبلها للطاعة .

وبدنا هم في هذه الحالة خدعها المنافق وأقنعها بأن تأكل
بالرغم من الوصية، ولما سقطت بسبب ميل الالة العارم جذبها
إلى الارض، وبعد أن اتجهت نحو الجسد جعلها عبدة الحظية .
لهذا السبب سمعت مع آدم الذي اشترك معها في تعدى الوصية:
« يبرق وجهك تأكل خبزاً حتى تعود الى الارض التي اخذت منها .
لانك تراب والى تراب تعود » . تك ٣: ١٩ .

لسكن دروسيس العجيبة حقاً كانت من نفس الطبيعة مثلنا،
تلك الطبيعة التي رزحت طويلا تحت الحظية وداستها الشياطين
كما يقول داود النبي: « شاخت من كل مضايق » . مز ٦: ٧ ،
وكانت ضعيفة وائمة بالنسبة لاعمال السكالك، كانت تعيش عيشة
الترف والبيذخ في ميوعة واسترخاء، وكما كان الامر في الفردوس
فإنه في ملذات هذا العالم ومباعد السكاذبة الفانية الشبيهة بالحلم،
في مقامها في القصر المللكى الذي كان لايبها، لم تر هناك أى غرس
صالح يرفنها إلى الله، فيه متعة تتفق مع التاموس. في هذه الحالة

لم يخدمها الشيطان ولم يحركها وهو الذي يسرق بمهارة كل الناس حتى الذين يفتخرون في قلوبهم أنهم لا يفتخرون .

لانه أى شيء كان نافسا من الاشياء التى تستطيع أن تحارب النفس الثابتة ؟ هلا يحارب النفس رونق الذهب ووفرتة ؟ هلا يحارب النفس ويجذبها إليه بريق الحجارة الكريمة ذات الالوان المتنوعة التى تستطيع أن تغرى حتى العيون التى تنظر بعفنة ؟

ومن ناحية أخرى هلا تهب لمحاربة الروح فخامة الملابس المملوكة ، وعظمة وجمال المباني المشيدة . ذلك الجمال الذى يرتفع من الارض حتى السقف وينافس منظر الحقول المزدهرة ؟

وقال مرة نبوخذ نصر ملك البابليين وهو منتفخ في روحه يمثل هذه الاشياء : . اليست هذه بابل العظيمة التى بنتها بيت الملك بقوة افتداری و لجلال حمدي ، دانيال ٤ : ٣٠ . وفى الحال بسبب كبرياته و عجرفة كلماته ، حكم عليه بالبلاهة وجنون أفكاره ؛ هكذا يستطيع ذلك أن يسقط من الخير حتى الفكر الثابت !

أنتكلم عن المائدة التى كانت تزخر بالولائم الرسمية يجمعون بها الاطعمة من كل مكان ، من الارض ومن البحر ، والتى تثير الشهية بندرتها وصعوبة العثور عليها ، وتجعل البطن يشترق إليها حتى تجذب المعتدل المتشغف ، فإياك بالشرة .

هل أذكر العدد الكبير للتابعين ، نخبة المجد الذين يأتون من كل أمة ومن كل جنس ، وخدمة جناح النساء ، وكل ما بالداخل يملأ الخيال بالعجب وبالخوف ، وتقاليد الحاديات من نفس السن ، والزينة والحلى ، تلك الاشياء التى تحبها النساء وتبتغيها لدرجة أنه أيسر عليهن أن يفسين إستنشاق الهواء أو الأكل أو الشرب من أن ينسبها ؟

وهذا ما يشهد به أيضاً أرميا النبي إذ يكتب : . هل تنسى عذراء زينتها أو عروس مناطقها . اما شعبي فقد نسيتني أياما بلا عدد . ار ٢ : ٣٢ - ٣٣ .

لسكن دروسيس كانت قد عرفت الله ، فلم تذكر نفسها ونسيت ما تفتتن به المرأة ، وأفقدت عينيها عن كل المحسوسات ، بعد أن ثبتت نظرها نحو السماء ، وأستأسرت بها الاشياء العلوية ، فلم تبحث عن سواها ولم تهتم سوى بالاشياء التى فى السماء حيث المسيح جالس عن يمين الله . . فان كنتم قد قسمتم مع المسيح فاطلبوا ما فوق حيث المسيح جالس عن يمين الله ، ١ كو ٣ : ١٠ .

لهذا السبب لم تكن تسمع ما سمعته حسوا . إذ يقول : . لانك تراب والى تراب تعود ، تك ٣ : ١٩ ، بل سمعت : . انت سما . وإلى السماء تصعدين . . صعدت مرتفعة مثل يمامة على

أجنحة روحانية . ولما وجدت نفسها خارج المساكن الملكية لم تتعاطف واحتبأت سرّاً مع العذارى اللواتي كن يعشن حياة الرهبنة النسكية المواضعة ، وكن يعترفن بالمسيحية التي كانت حينئذ محاطة بأخطار كثيرة . كانت رفيقه هن في حياة الرهبنة الصارمة ، وفي السلوك الطاهر وفي رجاء الله ، ثم أخيراً في طريق الإستشهاد . وهو الطريق الذي سلكته من أجل روحها ، بينما قالت مع بولس الرسول : « قد جاهدت الجهاد الحسن أكملت السعى حفظت الايمان . واخيراً قد وضع لي أكليل البر الذي يهبه لي في ذلك اليوم الرب الديان العادل وليس لي فقط بل لجميع الذين يحبون ظهوره أيضاً » ٢ تي ٤ : ٧-٨ .

بينما سادت هنا جسدها المكرم تصدر عنه روح البطولة فكانت قوية شجاعة عديمة الكسل سريعة الإستجابة ، وعلى أمة الاستعداد ، وانضمت بروحها لتلك الأرواح لتتحيا في شركة معهن وهن يحاربن بشجاعة وجدارة بطريقة مشابهة لطريقتها . وتركن أجسادهن تيبس مثل جادة الطلبة من جراء أعمال الكمال ، أو تركن أجسادهن تهلك في العذابات التي احتملتها لأجل الديانة مع هذه الأرواح وقد تخلصت بفرح من رباط الجسد ، تتأمل مقدماً في هذا الخلاص وتتوق إليه ، يصعد الرؤساء

الروحانيين والطفقات الملائكية في نفس الوقت إلى السماء . ويرثمون وقدنن الأكاليل بالتأكيد ، يرثمون أنشودة النصر التي قالها النبي داود في كلمات قليلة : « من قدام المغنون من وراء ضاربو الاوتار في الوسط فتيات ضاربات الدفوف » مز ٦٨ : ٢٥ .

لماذا إذن نحن حينما نسمع ذلك لانرغب ، ولو متأخرين في أي وقت كان ، في مزاياء السماء التي يتجه إليها طريق الأرواح العاقلة وسيرها الطبيعي إلى فوق؟ بالعكس كما لو كانت لنا روح خنزير أو أي حيوان ، ننظر إلى البطن وما أسفل ، وبطريقة جنونية نذسى شبهنا مع الله . لانهم بالصبر وبالسيرة الطاهرة ، ولا تقدر البتولية أيضاً ، لأجل الإستعداد الساكن السائبة ، والميدش المشترك مع الملائكة ، وعظمة النعم المد للذين يعيشون في التقوى . بالحقيقة ليس هذا سهلاً علينا أن نعيه . ويقول الكتاب : « ما لم ترعين ولم تسمع اذن ولم يخطر على بال انسان ما اعده الله للذين يحبونه » ١ كو ٢ : ٩ .

ليس كذلك تحتفل بذكرى الشهيذة . لأن ذكرى الشهداء الحقيقية إنما تكون في التمثل بكمالههم . لهذا السبب أيضاً نصنع هذه الذكرى ، واننا نتذكر الشهداء ونحتفل بأعيادهم ، لكي بالمحاكاة في الصبر والشجاعة والرجاء نصير كاملين : « آلام الزمان

المحاضر لا تقاس بالمجد العتيق أن يستعمل فينا ، رو ١٨ : ٨ .
ونفيع من العفة في الاثتعالات الدينوية . وتعلم آية نهاية يهدف
إليها جهاد المسيحين ، ولا تحمل بفته عراة فقراء في غاية القبيح
لامؤونة لنا للخلاص .

أنت أيتها المرأة تمتدحين بتولية دروسيس ، فافتدى حفاً بمن
تمتدحين حتى تفوزي بالمسيح عريساً ، لأنك سمعت ماذا يقول
بولس الرسول لاجلك : « لاني خطبتكم لرجل واحد لا قدم
عذراء . عفيفة للمسيح ، ٢ كو ١١ : ٢ وأيضاً : « ان بين الزوجة
والعذراء فرقا . غير المتزوجة تهم في مالرب لتسكون مقدسة
جسدا وروحا . واما المتزوجة فتهن في ما للعالم كيف ترضى
رجلها ١ كو ٧ : ٣٤ .

لكنك تفولين أن ذلك مستصعب وليس بالشئ الهين .
لكنه سهل اتباعه للروح التي مستها محبة الله . فعلى الأقل ، احلى
نير الزواج . لكن احتفظي به بشرف بحفاظك على الطهارة .
وإذا كان زوجك قد رحل عن هذا العالم فلا تتخذى زوجاً ثانياً .
وإذا كنت تتطلعين إلى زواج ثان . وذلك مباح لاجل ضرورة
الجسد ، فلا تتركى نفسك لثالث ، بالأخص إذا كنت قد تعديت
سن الشباب وكان الموت أو كانت الشيخوخة تقرب إليك . لأنه

إذا كان الزواج الثاني مباحاً ، فإني لا أستطيع أن أقول شيئاً
فيما يختص بالزواج الثالث إلا أنه غير مباح ، لأنه حتى الاذن
يكون في حدود معينة ولا معيشة مشتركة بغير ضابط .

أتمتدح الشبيدة التي أحتقرت النجد المللكي والخيرات ؟ إذا
فاظهر حقيقة مديك ، واعط من أموالك للفقراء ، أو أفعل شيئاً
مختلفاً وأقل استحقاقاً ، لا تشتهى ما للغير ، وكن بعيداً عن
الشئ المسروق أو المأخوذ ظلماً . لا يرتبك بمثل هذه الامور
خشية أن تظهر أمام القاضي وهي في حوزتك فتكون عليك ولو
لم ترد ، حينئذ تشتهى أن تخبثها وتبعدها ولا تستطيع . لأن مسور
أعمالنا تربط بنا دون أن تفترق عنا تابعة لنا كالظلم .

أنت تمتدح أيها الفاضل صبر خادمة المسيح في الجهاد
المقدس ، فتعلم في مديك أن تتحمل الاهايات من أجل الديانة ،
حينما تتطلب الظروف منك ذلك ، تعلم أن تعترف أمام الناس
بالإيمان الصحيح ، وألا تغير حسب الظروف ، تعلم أن تمتدح
أولئك الذين جاهدوا حتى الدم ولم تقاوموا بعد حتى الدم مجاهدين
ضد الخطية ، عب ١٣ : ٤ . تعلم أن تتبع من ناحية أخرى الديانة
التي ماجرى ذكرها على اللسان وتمتدح بالتعظيم ما بقى وقت .

المحاضر لا تقاس بالجد العتيق أن يستعمل قينسا ، رو ١٨: ٨ .
ونفث من الغلة في الاثنتايات الدنيوية ، وتعلم آية نهايتهدف
اليها جهاد المسيحين ، ولا تحمل بفته عراة فقرا ، في غاية الصييح
لا مؤونة لنا للخلاص .

أنت أيها المرأة تمتد حين بتولية دوريسيس ، فاقضى حقاً بمن
تمتد حين حتى تفوزي بالمسيح عريساً ، لانك سمعت ماذا يقول
بولس الرسول لاجاك : ، لاني خطيتكم لرجل واحد لا اقدم
عذراء عفيفة للمسيح ، ٢ كور ١١ : ٢ . وأيضا : ، ان بين الزوجة
والعذراء فرقا . غير المتزوجة تهتم في ما لرب لشكون مقدسة
حسدا وروحاً . واما المتزوجة فهتم في ما للعالم كيف ترضى
رجلها ، ٧ كور ٥ : ٣٤ .

لكنتك تقولين أن ذلك مستصعب وليس بالشيء الهين .
لكنه سهل اتباعه للروح التي مستها عجة الله . فعلى الآخر اجمل
غير الزواج . لكن احتفظي به بشرف تحفظك على الطهارة .
وإذا كان زوجك قد رحل عن هذا العالم فلا تتخذى زوجاً ثانياً .
وإذا كنت تتعلمين إلى زواج ثانٍ ، وذلك باح لاجل ضرورة
الحسد ، فلا تترك نفسك لثالث ، بالأخص إذا كنت قد تعديت
سن الشباب وكان الموت أو كانت الشيخوخة تقرب إليك . لأنه

إذا كان الزواج الثاني مباحاً ، فإني لا أستطيع أن أقول شيئاً
فما يخص بارواج الثالث إلا أنه غير مباح ، لأنه حتى الآن
يكون في حدود مينة ولا مبيشة مشتركة بغير ضابط .

أتمتدح الشهيدة التي أحقرت انجد الملك والحيرات ؟ إذا
فاظهر حقيقة مديك ، واعط من أموالك للفقراء ، أو أفضل شيئاً
مختلفاً وأقل استحقاقاً ، لا تشتهي ما للغير ، وكمن بعيداً عن
الشيء المسروق أو الماخوذ ظلاً . لا تزينك بمثل هذه الأمور
خشية أن تظهر أمام القاضي وهي في حوزتك فتكون عليك ولو
لم ترد ، حينئذ تشتهي أن تجتنبها وتبعد ما ولا تستطيع . لأن مسور
أعمالنا تربط بنا دون أن نفرق عنا نائمة لنا كالظلم .

أنت تمتدح أيها الفاضل صبر عادمة المسيح في الجهاد
المقدس ، فتعلم في مديك أن تتحمل الاهايات من أجل الديانة ،
حينما تتطلب الظروف منك ذلك ، تعلم أن تعرف أمام الناس
بالإيمان الصحيح ، والآن تنغير حسب الظروف ، تعلم أن تمتدح
أو لئك الذين جاهدوا حتى الدم ولم تقاوموا بعد حتى الدم مجاهدين
ضد الخطية ، عب ٤ : ١٢ . تعلم أن تتبع من ناحية أخرى الديانة
التي ماجرى ذكرها على اللسان وتمتدح بالنهظيم ما بقى وقت ،

يداك وأعطى بسرور ولا تمسكي. فإنك تنالين الثواب الوفير،
لأن عريسها ليس ناكراً للجميل أو فقيراً. أنه يعطى لأولادك
الصحة التي هي أتمن بكثير من مواهب عديدة، ويهبهم روحاً
ثاقباً في دراستهم، وغيرها مما يسر به الآباء من أجل بنينهم.
أنه يعطى زوجك مع الصحة الجيدة وفرحة المسكاتب الشريفة،
ولبيدتك الخبرات مع البركة والنعمة من العلا، ويعقب هذا بعد
مفادرة الأرض ملكوت السموات. ليتنا تناله بالنعمة والرفقة
ومحبة البشر اللواتي نخلصنا يسوع المسيح الذي يليق به التسبيح
والمجد والسيادة مع الآب والروح القدس الآن وكل أوان وإلى
دهر الداهرين آمين ؟



أودع بدار الكتب تحت رقم ٤٨١٧ لسنة ١٩٦٩
مع مرجيوس وواخوس